

الدعم التونسي للثورة الجزائرية : 1962-1954

أ.موسم عبد الحفيظ
طالب دكتوراة/ جامعة تلمسان

تمهيد

تعد دراسة التاريخ الوطني بشكل عام ودراسة تاريخ الثورة الجزائرية بشكل خاص من أبرز اهتمامات المؤرخين الباحثين في هذا المضمار، وإذا كان الاهتمام بالتاريخ الوطني - بمختلف أبعاده - يعد من الضروريات بل من الأولويات بالنسبة للدارسين والباحثين، فإنه لا يمكن أن يدرس بمعزل عن الأمة العربية، خصوصا عندما يتعلق الأمر بتاريخ الثورة الجزائرية التي لم تكن معزولة عن محيطها الإقليمي والدولي بل أثرت فيهما وتأثرت بهما نتيجة ما تلقته من دعم الدول العربية، وهو الدعم الذي لعبت فيه تونس دورا بارزا كونها كانت قاعدة خلفية لنشاط جبهة جيش التحرير الوطني، فتونس والجزائر بلدان متجاوران ولا تفصلهما أية حواجز طبيعية، والعلاقات التاريخية والبشرية بينهما أقدم من الاستعمار، لذلك حفل كفاح البلدين ضد الاستعمار الفرنسي بكثير من مظاهر التضامن والتآزر، وسنحاول في هذه الدراسة تسليط بعض الضوء على الدعم التونسي المادي والعسكري للثورة الجزائرية لعلنا نساهم من خلالها إبراز دور تونس في نصرته القضية الجزائرية.

1- الدعم المالي

كانت الثورة الجزائرية تتحصل على أموال معتبرة من تونس، ويساهم في توفيرها الجزائريون المقيمون هناك الذين كانوا على غرار إخوانهم في الجزائر يقدمون اشتراكات معتبرة لجهة التحرير الوطني، وقد نشطت في مجال جمع الأموال بتونس «ودادية الجزائريين المسلمين» التي استطاعت أن تتحصل على أموال من المناضلين والمتعاطفين مع الثورة الجزائرية. وللإشارة فإن هذه الاشتراكات التي كان يقدمها الجزائريون المتواجدون بالقطر التونسي أو التونسيون المؤيدون للثورة الجزائرية، قد حددت قيمتها بالعملة المحلية أي الدينار التونسي، إذ بلغت قيمتها سنة 1956 حوالي 100 مليون، ثم ارتفعت فيما بعد لتصل إلى 1000 مليون¹.

لقد تزايد الدعم المالي التونسي للثورة الجزائرية خاصة بعدما قامت جهة التحرير الوطني بإقامة قاعدة لها بتونس - تحت إشراف صديق مزالي - مهمتها جباية الأموال لصالح الثورة الجزائرية². غير أن الحصار الذي فرضته السلطات الاستعمارية على الحدود الجزائرية التونسية حال دون الحصول على أموال إضافية من تونس، ومن ثمة وجدت الثورة في بعض المناضلين بتونس متنفسا للحصول على الأموال عن طريق حوالات بريدية كانت تحمل أسماء مستعارة حيث استطاع المناضل محمد الرزقي سحب حوالات بريدية على مراحل مختلفة من المكاتب البريدية التونسية لا سيما بريد عين دراهم

¹ - لمياء بوقويوة، العلاقات الجزائرية التونسية 1954 - 1962، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2006، ص 215.

² - حفظ الله بويكر، التموين والتسلح إبان ثورة التحرير الجزائرية 1954. 1962، طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 118.

وأرسلها إلى الجزائر مع أشخاص مكلفين بهذه العملية، وهم في الحقيقة مناضلون سخرتهم الثورة لهذه الخدمة النبيلة، يعبرون الحدود الجزائرية التونسية من أجل تبليغ البريد، وكذلك من أجل الحصول على الأموال وجلها إلى خزينة الثورة الجزائرية دون إثارة أية شكوك لدى السلطات الاستعمارية¹.

ولم يقتصر الدعم المالي على إسهامات الجزائريين المتواجدين بتونس أو المواطنين التونسيين ممن أبدوا تعاطفا مع الثورة الجزائرية فقط، بل شمل أيضا الجمعيات والشعب الدستورية التونسية خاصة بعدما أصدر الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة² جملة من الأوامر بتاريخ 27 جوان 1956 في إطار تفعيل اتفاقية التعاون مع الثوار الجزائريين، وعلى إثر ذلك قامت الشعب الدستورية التونسية بحملة لجمع المال لصالح الثورة الجزائرية عن طريق فرض ضريبة جبائية شهرية على التجار، وبيع التذاكر وقطع جزء من رواتب العمال والموظفين ... إلخ³.

¹ Gilbert Meynier, mohammed harbi, Histoire Intérieur du F.L.N (1954 – 1962), édition casbah, Alger, 2003, p. 471.

² حفظ الله بوبكر، المرجع السابق، ص. 119، 120.

³ ولد بالمنستير في 03 أوت 1903 من عائلة متواضعة وميسورة الحال، زاول تعليمه بالمدرسة الصادقية ثم بمعهد كارنو بباريس أين حصل على الإجازة في الحقوق، إنخرط في النشاط السياسي مبكرا من خلال انضمامه إلى الحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1922، وفي صلب هذا الحزب تزعم حركة الانشقاق التي أدت إلى ميلاد الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد في مارس 1934 وانتخب أمينا عاما له، تعرض بورقيبة للإيقاف والنفي عدة مرات وأحيل على المحكمة العسكرية بتهمة التآمر على أمن الدولة، فقرر السفر إلى المنفى الاختياري (القاهرة) في مارس 1945 وقام بجولة دعائية للتعريف بالقضية التونسية قاده إلى بلدان عربية وأسيوية وإلى الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة البريطانية، في 03 جوان 1955 وقع اتفاقيات الاستقلال الداخلي لتونس، فدخل بذلك في مواجهة عنيفة مع الأمين العام للحزب " صالح بن يوسف "، بسبب الموقف من الاتفاقيات، قبل أن يحسم الصراع لفائدته، خاصة في ظل تطور الأوضاع التونسية والإقليمية التي قادت تونس إلى الاستقلال المعلن عنه في مارس 1956، وبذلك انتخب بورقيبة في 08 أفريل رئيسا للمجلس التأسيسي وأصبح في 12 أفريل رئيسا لأول حكومة تونسية بعد الاستقلال، وهكذا بقي بورقيبة رئيسا للجمهورية التونسية إلى غاية الإطاحة به من طرف الجنرال زين العابدين بن علي في نوفمبر 1987، ومنذ هذا التاريخ اعتزل بورقيبة السياسة إلى أن وافته المنية خلال شهر أفريل 2000. أنظر: مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ العربي الحديث والمعاصر، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص 235.

إضافة إلى هذا، قرر الموظفون التونسيون مؤازرة الثورة الجزائرية ومساعدة إخوانهم الجزائريين ماديا من خلال التبرع بأجرة يوم عمل كامل لفائدة جبهة جيش التحرير الوطني، وحرصا منهم على هذا الدعم عمل الموظفون التونسيون على فتح اكتتاب لإعانة الثورة الجزائرية، ودعوا المحامين إلى التبرع بالأموال لفائدة جبهة التحرير الوطني¹. هذا فضلا عن الدور الكبير الذي كانت تقوم به المنظمات القومية التونسية والجمعيات التي عملت على القيام بحملات تحسيسية وتضامنية لفائدة الشعب الجزائري الشقيق، وهو ما نلمسه من خلال تنظيم مقابلة رياضية يوم 16 جوان 1957 خصصت مداخلها لدعم الثورة الجزائرية والتي قدرت بحوالي 100 ألف فرنك فرنسي².

وخلال انعقاد ندوة المهديّة في تونس بتاريخ 17 جوان 1958 بحضور ممثلين عن تونس والمغرب الأقصى وجبهة التحرير الوطني³، أهدى أهالي المهديّة صكّا ماليا إلى جبهة التحرير الوطني قدرت قيمته بمليونين من الفرنكات الفرنسية كإعانة للثورة الجزائرية⁴. إن دل هذا على شيء إنما يدل على مساهمة تونس حكومة وشعبا في دعم الثورة الجزائرية ماليا، وهو ما نلمسه أيضا من خلال التقرير المالي الذي قدمه الوزير أحمد فرانسيس إلى الحكومة المؤقتة الجزائرية سنة 1960 يتحدث فيه عن مساهمة الدول العربية المالية التي قدرت بـ 12 مليار فرنك. تساهم فيها الدول المغاربية الثلاث (تونس، المغرب، ليبيا) بـ 150 مليون

¹ أحمد المستيري، شهادة للتاريخ. ذكريات وتأمّلات وتعاليق حول فترة من التاريخ المعاصر لتونس والمغرب الكبير (1940 - 1990)، دار الجنوب للنشر، تونس، 2011، ص 81.

² فتح اكتتاب للتبرع بالأموال للثورة الجزائرية، جريدة الصباح، العدد 1580، ص 3

³ مقابلة رياضية خصصت مداخلها للثورة الجزائرية، جريدة العمل، العدد 515، 19 جوان 1957، ص 2.

⁴ HARBI Mohammed, les archives de la révolution algérienne, édition jeune Afrique, paris, 1981, p 414.

فرنك، وتدفع إلى خزانة الحكومة المؤقتة الجزائرية، ويشير كذلك إلى أن البنوك التونسية كانت تستقبل الأموال الجزائرية القادمة من فرنسا¹.

2- التموين (الأدوية، الألبسة، مواد غذائية ...)

رغم المساهمة الايجابية للشعب الجزائري في تموين الثورة الجزائرية من أجل إنجاحها، إلا أن قادة الثورة بدأوا يبحثون منذ الانطلاقة عن مصادر تموين خارجية قصد تعزيز التموين في الداخل، لذلك حاول هؤلاء القادة الاستفادة من الوضع الإقليمي، في سبيل توفير المؤن المختلفة عن طريق توظيف الحدود الجزائرية خاصة الشرقية منها لجعلها مصادر تموين خارجية².

تتميز الحدود الشرقية للجزائر بإستراتيجيتها الخاصة مقارنة بالمناطق الأخرى، وذلك من حيث تضاريسها المعقدة والصعبة سواء بجبالها أو تلالها، لذلك شكلت سورا مانعا يصعب اختراقه من طرف المشاة الفرنسية وسلاح الطيران الفرنسي، هذا بالإضافة إلى كونها مفتوحة مباشرة على تونس ومنها يمكن الانتقال إلى الدول العربية الأخرى، لهذا أصبحت بمثابة العمود الفقري للثورة الجزائرية من خلال تموينها بالمؤن والذخائر المختلفة³.

فعلى طول الحدود الجزائرية التونسية تم إنشاء العديد من المراكز الخاصة بتموين الثورة الجزائرية وجيش التحرير بالدواء وتقديم العلاج مثل مركز باجة، الكاف، سوق الأربعاء، تاجروين، تالة. هذه المراكز التي كانت تستقبل - زيادة على مهامها التموينية - الجرحى

¹ - أمالي المهدية يتبرعون بمبلغ مالي لجهة التحرير، جريدة العمل، العدد 827، 20 جوان 1958، ص 1.

² - Mohammed guentari, organisation politico administrative et militaire de la révolution algérienne de 1954 - 1962, tome 2, officier publications universitaire, alger, 2000, p 597

³ - محمد حربي، جهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، الجزائر (1954 - 1962)، ط1، ترجمة كميل قيصر داغر، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ص 111.

والمصابين الذين يرسلون من الداخل لأجل العلاج¹، كما تم إنشاء وحدات للهلال الأحمر الجزائري على طول الحدود الشرقية الجزائرية التونسية، الذي كان يقدم المساعدات للسكان الجزائريين الفارين من بطش الاستعمار².

لقد كان للمهاجرين الجزائريين بتونس دور كبير في تموين الثورة الجزائرية، حيث أشار التقرير الصادر عن القيادة العليا للقوات الفرنسية بتاريخ 20 جوان 1956 إلى مساهمة اللاجئين الجزائريين في توفير المؤونة لصالح الثورة، ويتضح ذلك من خلال عدة مظاهر أهمها: أن المساعدات التي كان يتحصل عليها جيش التحرير الوطني كانت مموهة باسم اللاجئين الجزائريين، حيث يتم توزيع جزء منها على هؤلاء اللاجئين في حين يوجه الباقي لدعم الثورة الجزائرية وجيش التحرير الوطني³.

ولم تقتصر عملية التموين على إسهامات اللاجئين الجزائريين بتونس فقط، بل ساهمت الحكومة التونسية هي الأخرى في هذه العملية من خلال توفير المواد الغذائية والملابس والأدوية التي كان يتم تهريبها إلى الحدود التونسية الجزائرية بواسطة الجيش التونسي وسيارات الحرس الوطني التونسي، حيث تم اعتماد خطة لوجستية تعتمد على مجموعة من محطات التموين تنطلق من تونس والشاطئ والساحل الشرقي التونسي حتى تصل إلى الحدود، علما أن القاعدة الرئيسية اللوجستية في تونس هي التي ينطلق منها النقل عبر شاحنات الحرس الوطني، والجيش التونسي هو الذي يؤمن لها الطريق لتزود الثوار بالمؤن والمواد

¹ - الطاهر جيلي، القاعدة الشرقية 1954 - 1962، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001، ص 2.

² - Mohammed guentari, op. cit, p 768

³ - فاروق بن عطية، الأعمال الإنسانية أثناء حرب التحرير (1954 - 1962)، ترجمة عبد الرحمن كابوية ومحمد سالم، منشورات دحلب، الجزائر، 2010، ص 77

الغذائية حسب اتجاه خط المخازن والقواعد الخلفية مثل سوق الأربعاء، الكاف، تاجروين، تالة ...، وقرب الحدود التونسية الجزائرية يتم تسليم المؤن وإنزالها لتأخذ بذلك طريقها النهائي نحو الداخل باتجاه سوق أهراس والولاية الأولى والثانية¹.

زيادة على ما سبق فقد تعهد كل من الحزب الدستوري التونسي والاتحاد العام التونسي للشغل بتقديم المساعدات لجهة وجيش التحرير الوطني، وسعى المسؤولون إلى توفير المواد الغذائية والملابس والأدوية إلى الثوار الجزائريين². ولعله من المستحسن أن نعطي بعض النماذج والأمثلة عن المؤونة والذخيرة التي كانت تصل إلى الجزائر عبر تونس، حيث يذكر فتحي الديب أن الجزائر قد استفادت عبر الناحية الشرقية عام 1958 من مؤن مختلفة تمثلت في 15000 حذاء، و15000 بذلة خاصة بجيش التحرير، و30000 بطانية صوف، و5000 طن من القمح، و1000 طن من السكر³.

3- الدعم العسكري

مثلت تونس البوابة الشرقية للثورة الجزائرية في دخول الأسلحة والمؤونة الحربية إليها حيث كانت الحدود التونسية الجزائرية من أهم معابر المجاهدين ونقل الأسلحة القادمة من مصر وليبيا الشقيقتين⁴. هكذا ارتكز الدعم العسكري بالنسبة للحكومة التونسية على فتح حدودها للثورة الجزائرية، وإقامة مراكز خاصة بجيش التحرير الوطني

¹ - Archives de l'institut supérieur d'histoire du mouvement national (tunis), bobine n° 6503, carton 211. 398, dossier n° 2, Commandement supérieur des troupes de Tunisie, bulletin mensuel renseignements période du 20 juillet 1956, p 1.

² - جبيب حسن اللولب، التونسيون والثورة الجزائرية 1954 - 1962، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الجزائر، 2006، ص 202.

³ - فاروق بن عطية، المرجع السابق، ص 81.

⁴ - فتحي الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص، ص 365 - 367 (يتصرف).

ومخازن لتجميع الأسلحة والذخيرة فضلا عن التحاق الكثير من التونسيين بصفوف الثورة الجزائرية خاصة بعد توقيع إتفاقية تسليم السلاح في تونس¹.

3-1- التلاحم الشعبي التونسي والانضمام للثورة الجزائرية

مع اندلاع الثورة الجزائرية وفي خضم المفاوضات التونسية الفرنسية²، أصدرت الحكومة التونسية يؤيدها في ذلك حزب بورقيبة نداء إلى المجاهدين التونسيين تطالبهم فيه بتسليم أسلحتهم. وفعلا استطاع الحزب الدستوري التونسي إقناع جزء كبير من الثوار بتسليم أسلحتهم والعودة إلى الحياة المدنية، غير أن صالح بن يوسف³ (نائب بورقيبة) والطاهر الأسود⁴ (أحد قادة الكفاح المسلح) تزعما حركة المعارضة

¹ - أحمد بن بلة، شهادة حول التسليح في الثورة، تسجيل صوتي منقول تاريخ الجزائر 1830 - 1962، القرص المضغوط الصادر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2010.

² - وقعت هذه الاتفاقية في أواخر شهر ديسمبر 1954 بين حكومة الطاهر بن عمار يؤيدها في ذلك بورقيبة والسلطات الفرنسية. لمزيد من التفاصيل أنظر: عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرر المغرب العربي، ط2، المغاربة للطباعة والنشر والإشهار، تونس، 2011، ص 167.

³ - ولد صالح بن يوسف يوم 11 أكتوبر 1907 بمغراوة (قرب مدين) بجزيرة جربة من عائلة ميسورة الحال، تحصل على البكالوريا سنة 1930 بتونس وعلى الإجازة في الحقوق من باريس سنة 1933، ليعود بعد ذلك إلى تونس وينخرط في الحزب الحر الدستوري الجديد سنة 1934. في سنة 1948 أصبح صالح بن يوسف الأمين العام للحزب، فعرف الاعتقال والنفي شأنه شأن قيادة حزبه، عاش في المنفى منذ جانفي 1952 هروبا من الاعتقال إثر القطيعة مع الحكومة الفرنسية، عارض اتفاقيات الاستقلال الداخلي الموقعة في 03 جوان 1955 معتبرا إياها "خطوة إلى الوراء" فتزعم بذلك الشق المعارض لها، في سنة 1956 سافر إلى ليبيا ومنها انتقل إلى القاهرة معلنا عن استمراره في نضاله التحرري، وفي 14 أوت 1961 تم اغتياله في فرانكفورت بألمانيا بموجب القرار الذي أصدره بورقيبة في حقه. أنظر: منصف الشابي، صالح بن يوسف. حياة كفاح، دار نقوش عربية للطباعة، دون مكان، دون تاريخ، ص. 53، 17.

⁴ - هو الطاهر بن علي بن محمد الصالح المنصر الخريجي الزيدي، ولد على أرجح الأقوال سنة 1911 بمنطقة الهواري بالفجيج شمال الحامة، التحق بالجندية سنة 1930 وتحصل على رتبة رقيب بعد ثلاث سنوات من الخدمة، كان منتسبا للحزب الحر الدستوري قبل انقسامه وضمن الحزب الدستوري الجديد بعد ذلك، وهو من الأوائل الذين صعدوا للجيل لمقاومة المحتل في جانفي 1952، لم يقبل باتفاقيات الاستقلال الداخلي معتبرا ذلك خيانة للقضية الجزائرية لذلك كان من أشهر قادة المقاومة الذين وقفوا إلى جانب الثورة الجزائرية حيث كانت له عدة اتصالات وعدة وقائع ومعارك حربية قادها وأشرف عليها في إطار الحرب الشاملة والتنسيق لتحرير تونس والجزائر، وضع الطاهر لسود حدا لنشاطه مباشرة بعد حصول تونس على استقلالها سنة 1956، توفي سنة

لتسليم السلاح، وطالبا بضرورة العودة إلى الكفاح المسلح إلى غاية تحرير شمال إفريقيا¹، وهو ما نلمسه في نص الرسالة التي بعثها السيد الطاهر الأسود إلى الثوار في الجزائر والمؤرخة في 23 ديسمبر 1955 حيث طلب منهم أن يقتربوا من الحدود التونسية حتى يتمكن إخوانهم التونسيون من الانضمام إليهم، وضمن هذه الرسالة نقراً ما يلي: "... ينبغي علينا الآن المشاركة والمساندة في كفاح واحد ضد عدونا الواحد والمشارك، كما ينبغي أن لا يكون هذا الكفاح سياسي فقط بل كفاحا مسلحا بالفعل، وسيوحدنا الدين والاجتهاد من البداية إلى غاية تحرير كامل شمال إفريقيا لأنه لا فرق عندنا بين الجزائر أو تونس...، لذلك أطلب منكم أن تقتربوا من الحدود التونسية حتى يتمكن إخوانكم التونسيون من الانضمام إليكم إلى أن نهض بكافة أفراد الشعب التونسي للثورة..."².

ونتيجة لهذا الطلب لجأ عدد كبير من المجاهدين التونسيين الذين عارضوا الاتفاقية ورفضوا تسليم أسلحتهم إلى الأرض الجزائرية لينضموا إلى إخوانهم في الجزائر لقتال عدوهم المشترك³. فكان أشهر الملتحقين: الطاهر الأسود⁴، لزهري شرايطي، الطيب الزلاق، الزين بن

1996. أنظر: عميرة علية الصغير، في التحرر الاجتماعي والوطني، فصول من تاريخ تونس المعاصر، ط 1، المغاربية للطباعة وإشهار الكتب، تونس، 2010، ص. ص 186، 187 (بتصرف)

¹ - الطاهر الزبيري، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين 1929 - 1962، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص. ص 83-84.

² - عمار بن سلطان وآخرون، الدعم العربي للثورة الجزائرية، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، ص. ص 37، 38.

³ - الطاهر الزبيري، المصدر السابق، ص 84.

⁴ - برر الطاهر لسود في حديث أدلى به قبل وفاته للباحث الجزائري الدكتور محمد قنطاري عملية الالتحاق هذه بالثورة الجزائرية بقوله: "... أعطينا عهدا على متابعة الكفاح المشترك لبلدان المغرب العربي إلى غاية استقلال جميع أقطارها، وأن لا نضع الأسلحة مهما كانت الظروف وهو الخلاف الذي وقع بيني وبين بورقيبة في قبوله بالاستقلال على مراحل وترك الجزائر وحدها في المعركة، حيث أنني لم اعترف بذلك وتابعت جهادي إلى ما بعد اتفاق الفرنسي - التونسي على الاستقلال، فدخلت بوحداتي القتالية إلى الجزائر بجهة الأوراس

لسود بن عبد الله، عبد العزيز شوشان، أحمد التليلي، علي عوايدة ...
ألخ، مدفوعين كلهم بروح الشهادة والوطنية والقناعة بأن قضية
الجزائر هي قضية تونس، وهو ما يؤكد المقاومة التونسي عبد الوهاب
السندي، من خلال الشهادة التي أدلى بها للمعهد العالي للحركة
الوطنية التونسية، حين أكد بأن رجال المقاومة الوطنية التونسية
تلقوا رسالة من المنجي سليم يدعوهم فيها إلى الالتحاق بالجزائر لدعم
المقاومة المسلحة فيها. وبالفعل فقد توجهت بناء على ذلك وبأمر من
القائد لزهري الشرايطي ثلاث فرق هي: فرقة عبد الوهاب السندي، فرقة
علي بوترة، فرقة أحمد بن سعد إلى الأراضي الجزائرية، ومكثت شهرا
كاملا في منطقة النمامشة وتبسة¹.

لقد أدى هذا التلاحم بين الثوار الجزائريين والمتطوعين التونسيين إلى
تكوين فرق عسكرية مشتركة على كامل الحدود الجزائرية التونسية،
وخاصة في الوسط والجنوب؛ مثل فرقة أولاد عون بقيادة عبد القادر
رزوق، فرقة منطقة سوق الأربعاء بقيادة الطيب الزلاق، فرقة منطقة
قفصة يقودها الحسين الباجي وعبد الله البوعمراني والهادي الأسود
وعلي درغال²، ودون الاستطراد في ذكر كل الفرق العسكرية المشتركة،
بودنا أن نشير إلى أن هذه الفرق خاضت عدة معارك ضد القوات
الفرنسية على طول الحدود التونسية الجزائرية (جبال قفصة،

النمامشة لمناخية جهادي ضد القوات الفرنسية إلى جانب إخواني الجزائريين، لكن الظروف القاسية والوضعية
المؤسفة آنذاك لم تسمح لي بمتابعة الكفاح حتى استقلال الجزائر ... " . حول هذه الشهادة، أنظر : محمد
قنطاري، هجمات أول أكتوبر 1955 بالقطاع الوهراني، جريدة الشعب، العدد 10195، الجزائر، 01 أكتوبر
1993، ص 18 .

¹ - عبد الوهاب السندي، المقاومة المسلحة بجهة قفصة. المشاركة في الثورة الجزائرية، الحركة اليوسفية،
شهادة أدلى بها للمعهد العالي للحركة الوطنية التونسية، قفصة، رقم التسجيل 101، 30 ديسمبر 1993.

² - الطاهر جبلي، شبكات الدعم اللوجستيكي للثورة التحريرية 1954، 1962 أطروحة دكتوراه في التاريخ
الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2010، ص 299.

النمامشة، سوق أهراس...) ¹، حيث قدرت المصادر التاريخية عدد الشهداء من الوطنيين التونسيين الذين استشهدوا من أجل القضية الجزائرية من عام 1955 إلى 1958 بأكثر من خمس مائة شهيد إضافة إلى ألف ومائتي مناضل مسجون ².

2-3- دعم الحكومة التونسية للثورة الجزائرية في الميدان العسكري
تميز الدعم التونسي العسكري للثورة الجزائرية خاصة خلال المرحلة الأولى لاندلاعها بتنسيق ثلاثي منظم بين قادة حركات المقاومة والتحرير في أقطار المغرب العربي الثلاث، توجت نهايته بتأسيس جيش تحرير المغرب العربي الذي أصبح منذ سنة 1955 الإطار الجامع لهذه الحركات المسلحة، والدليل على ذلك هو أن التنسيق التونسي الجزائري في هذه المرحلة، أصبح بالنتيجة جزءا من هذه العملية الكبرى الخاضعة لتوجهات القيادة العليا لجيش التحرير المغاربي والمؤمنة بوحدة المصير والانتماء ³.

وبعد هذه المرحلة وعلى إثر تشكيل حكومة الاستقلال الأولى في شهر أفريل سنة 1956، كلف الرئيس الحبيب بورقيبة أحمد التليلي وعبد الله فرحات والطيب المهيري - جلهم كانوا أعضاء في الديوان السياسي للحزب الدستوري - بالسهر على متابعة القضية الجزائرية خاصة فيما يتعلق بمسألة إيصال الأسلحة القادمة من المشرق العربي إلى الثوار الجزائريين ⁴. وعليه يتضح لنا أنه بعد تخطي مرحلة الصراع اليوسفي البورقيبي بعد سنة 1956، واستعادة بورقيبة تدريجيا السيطرة على

¹ - Rachid driss, reflet d'un combat, publication de l'institut supérieur d'histoire du mouvement national Tunisie, tunisie, 1996, p 295

² - محمد زروال، النمامشة في الثورة، ج2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 400

³ - الهادي وناس الزريبي، الطاهر لسود القيادة العامة لجيش تحرير شمال إفريقيا، ط1، مطبعة التفسير الفني، صفاقس، 2008، ص 52.

⁴ - عمارين سلطان وآخرون، المرجع السابق، ص 61

الأوضاع، تكثفت الاتصالات بين القادة التونسيين والجزائريين لتنسيق دعم تونس للثورة الجزائرية، حيث كانت شخصيات الربط من الجانب التونسي تتمثل في النقابي الدستوري أحمد التليلي ووزير الداخلية الطيب المهيري¹.

وفي هذا الإطار تم عقد لقاءات عديدة بين القادة التونسيين المعنيين وممثلي جبهة التحرير الوطني، حيث أشار التقرير العسكري الفرنسي المؤرخ في 6 جوان 1956 إلى ذلك الاجتماع المنعقد في ليلة 29 - 30 ماي 1956 على مستوى المكتب السياسي للجبهة الوطنية الجزائرية بتونس بحضور كل من عبد الله بلهوشات ممثلا عن جبهة التحرير الوطني، ووزير الداخلية التونسي الطيب المهيري، إضافة إلى تيجاني بن خليفة الموظف في وزارة النقل التونسية، وثلاثة جزائريين لم تذكر أسمائهم. وأثناء هذا الاجتماع تمت دراسة مخطط جديد لعملية إنزال الأسلحة على السواحل التونسية، وبصفة خاصة في منطقة قليببة (الوطن القبلي) وكيفية نقله إلى الحدود الجزائرية، كما تم الاتفاق على إبقاء الوضع في منطقة رأس الطيب التي كانت تحتوي على مراكز استقبال الأسلحة الآتية من ليبيا وإيطاليا على ما هو عليه بسبب الرقابة العسكرية المشددة من طرف السلطات الفرنسية².

وبتاريخ 15 أوت 1956، كلفت الحكومة التونسية السيد عبد الجليل المهيري بأداء مأمورية تنسيقية في القاهرة بين قادة الثورة الجزائرية والسلطة التونسية، ثم عينته بعد هذه المهمة كاتبا أولا للسفارة التونسية في روما مكلفا بالتمثيلية الجزائرية بأوروبا، حيث أشرف على عمليات تزويد جبهة التحرير الوطني بالسلح انطلاقا من ميناء جنوة

¹ - الطاهر الزبيري، المصدر السابق، ص 89

² - Archives de l'institut supérieur d'histoire du mouvement national (tunis) , bobines 503, carton 24: 398, dossier n° 1, Commandement supérieur de troupes de Tunisie, trafic d'armes, 6 juin 1956, p 1

الإيطالي¹.

وفي سياق الحديث عن هذه اللقاءات، تجب الإشارة إلى لقاء القاهرة المهم الذي جمع كل من السادة أحمد توفيق المدني، والأمين دباغين ممثلين عن جبهة التحرير الوطني، والصادق مقدم والطيب سليم ممثلين عن الحكومة التونسية بتاريخ 22 جانفي 1957، وهو اللقاء الذي انتهى بالتوقيع على اتفاقية التسليح التي نصت على ما يلي:

- تتعهد الحكومة التونسية بنقل الأسلحة الجزائرية التي تصلها عبر الحدود من ممثلي جبهة التحرير الوطني، كما تتعهد بتسليمها لمن تعينه الجبهة لهذه المهمة.

- تكون اللجنة التي تشرف على العملية تحت حراسة وضمان هيئة مشتركة مؤلفة من ممثلين عن الديوان السياسي التونسي، وممثلين عن جبهة التحرير الوطني.

- تتعهد هذه الهيئة المشتركة بأن لا تتسرب إلى البلاد التونسية أي قطعة سلاح، أو أي جزء من الذخيرة المخصصة لصالح الجزائر.

- لا تتم عملية النقل هذه إلا بين الجزائريين المفوضين من قبل جبهة التحرير الوطني، والتونسيين المفوضين من قبل الديوان السياسي التونسي دون أي مشاركة خارجية عنها.

- تبدأ اللجنة عملها عند مصادقة الأخ الرئيس الحبيب بورقيبة على هذا النص النهائي، بعد رجوع الوفد التونسي للعاصمة التونسية².

ودون الاستطراد في ذكر كل اللقاءات التي جمعت بين القيادة الجزائرية والتونسية، يمكننا القول أن تونس كانت معبرا أساسيا للأسلحة نحو

¹ - محمد صديقي، الطريق والوسائل السرية لإمداد الثوار الجزائريين بالسلاح، ترجمة أحمد الخطيب، دار الرائد للكتاب، باتنة، 1986، ص 32.

² - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات)، ج 2، ط 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1976، ص 278. 279.

القطر الجزائري، خاصة بعدما تم إنشاء اللجان المشتركة (الجزائرية التونسية) المكلفة بمهمة تمرير الأسلحة وفقا للاتفاق المبرم في بداية 1957، وهو ما تؤكد شهادة كل من عمر أو عمران، وعمار بن عودة، اللذين أكدا أن الحكومة التونسية قدمت مساعدات كبيرة لإنجاح مهمة تمرير الأسلحة من طرابلس باتجاه الحدود التونسية الجزائرية بواسطة وسائلها الخاصة¹.

3-3. طرق تهريب الأسلحة إلى الجزائر

جدير بالذكر أن نوضح بأن السلاح القادم إلى الشرق الجزائري كان يمر من خلال ثلاثة مسارب رئيسية هي:

1. مسرب جزيرة جربة على السواحل التونسية بواسطة استعمال الزوارق الصغيرة.

2. مسرب زوارة في ليبيا، ومن هناك ينقل السلاح بواسطة الشاحنات عن طريق بن قردان، ثم يمر عبر الأراضي التونسية في اتجاهين: الأول: بوسائل مختلفة إلى بلدة سوق أهراس (ولاية شمال قسنطينة). الثاني: بواسطة الجمال عبر ممر الجرف في أقصى الجنوب باتجاه ولاية الأوراس.

3. بواسطة الشاحنات الضخمة مباشرة من مصر عبر ليبيا وتونس، ومن هنالك يهرب بواسطة الجمال عبر الصحراء بعد أن أغلق ممر سوق أهراس².

فبعد هذه المسالك كان يتم تهريب الأسلحة انطلاقا من الحدود الليبية التونسية باتجاه الجزائر، وسيزداد هذا النشاط أكثر بعد استقرار

¹ - محمد عباس، ثوار عظماء، شهادات 17 شخصية وطنية، دار هومة، الجزائر، 2009، ص ص 173، 190 (بتصرف).

² - مراد صديقي، الثورة الجزائرية . عمليات التسليح السرية، ترجمة أحمد الخطيب، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010، ص 49

جيش التحرير الوطني داخل الأراضي التونسية¹. ورغم اشتداد الرقابة الفرنسية بمعاونة بعض أنصار الحزب الدستوري الذي كان يتولى المفاوضات مع فرنسا، إلا أن عملية التهريب كانت تتم باستمرار، حيث بلغت كميات الأسلحة المهربة خلال الفترة الممتدة ما بين 01 جانفي 1957 و31 جويلية 1957 أكثر من تسعة آلاف قطعة سلاح. ويؤكد أحد مسؤولي القاعدة الشرقية أن القاعدة تلقت عام 1957 وحده حوالي 3017 قطعة سلاح أوتوماتيكية من بنادق ورشاشات ومدافع هون، إضافة إلى كميات كبيرة من الذخيرة². كما تزايدت الفرق والكتائب التي كانت ترسل بها ولايات الداخل إلى الحدود التونسية³.

وضمن هذا السياق، أشار التقرير العسكري الفرنسي المؤرخ في 07 فيفري 1957 إلى اشتداد نشاط الثوار الجزائريين في الأراضي التونسية خلال شهر جانفي 1957، مع زيادة ملموسة في التحويلات والتنقلات نحو الجزائر على مستوى الأفراد والعتاد بمساعدة السلطات التونسية⁴. كما أن طريق القوافل المحملة بالأسلحة نحو الجزائر عبر الجنوب التونسي، كان دائما مؤمنا من طرف رجال المقاومة التونسية، بالرغم من الصراع الذي كان قائما بين الحبيب بورقيبة والأمين العام للحزب الدستوري صالح بن يوسف، حيث وجدت هذه القوافل الدعم

¹ - Maurice vaise et chantal morale, les relations franco-tunisiennes (juin 1958 - 1962) acte du VIII e colloque international su histoire orale et relations tuniso-françaises de 1945 à 1962, la parole aux témoins, (tenu les 10 et 11 mai 1996 à tunis). I.S.H.M.N. Tunis, 1998. P 266 .

² - إبراهيم العسكري، لمحات من سير الثورة التحريرية ودور القاعدة الشرقية، دار البعث، قسنطينة، 1992، ص 186.

³ - عبد المالك سلاطينة، رحلة الكفاح ضد الاستعمار من السمنندو إلى القاعدة الشرقية (صفحات مشرفة من ثورة نوفمبر الخالدة)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 136.

⁴ - Archives de l'institut supérieur d'histoire du mouvement national (tunis) , Bobine 503, carton 2 H 310, dossier n° 4, Commandement supérieur des troupes de Tunisie, synthèse mensuelle de mois de janvier 1957, 07 février 1957, p 5.

والمساعدة من طرف الحركة اليوسفية واستطاعت بذلك أن تتجنب السلطات الاستعمارية الفرنسية¹.

وبعد الهيكلية العسكرية التي قامت بها قيادة الثورة، بدأت عمليات الإمداد اللوجستية من خلال المهام التي أشرفت عليها مصلحة التسليح والتموين العام، حيث تم تأسيس قاعدة تونس في شهر أكتوبر 1957، كقاعدة خلفية لاستقبال وإمداد الولايات الداخلية بالأسلحة. ومما لا شك فيه أن قاعدة تونس تعتبر قاعدة مهمة بالنسبة للقيادة التي أشرفت على مهام الإمداد، باعتبارها همزة وصل بين مصادر السلاح في مصر وليبيا، وانفتاحها على طول الحدود البرية من الشمال إلى الجنوب، الأمر الذي ساعد على تهريب السلاح وإيصاله إلى الثوار الجزائريين².

4-3. مراكز تخزين الأسلحة وتدريب جيش التحرير الوطني الجزائري بتونس

لم تكن تونس معبرا لتهريب الأسلحة نحو القطر الجزائري فقط، بل أقيمت بها عدة مراكز خاصة بتجميع الأسلحة وتدريب جيش التحرير الوطني، نذكر منها:

* مركز ملاق: الذي يعتبر من أهم مراكز جيش التحرير الوطني بتونس، وهو خاص بالتدريب العسكري، وتخزين الأسلحة، وتموين الجنود، وجمع المساعدات التي يتحصل عليها جيش التحرير من الدول الصديقة والشقيقة.

* مركز قرن الحلفاية: بالقرب من الكاف، وهو من أهم مدارس تكوين الإطارات العسكرية.

¹ - Bachir el kadi, de tripoli à la willaya I, el watan, 10 janvier 2005, p 2.

² - الطاهر جبلي، المرجع السابق، ص. 249 - 250.

* مركز الزيتون: وهو عبارة عن ثلاثة مراكز صغيرة استغلت للتدريب العسكري، وكانت هذه المراكز قريبة من مركز القيادة العامة بغارديماو * غابة أو ضيعة باني: تعرف كذلك بضيعة موسى حواسنية (أول مسؤول عسكري جزائري)، وهي تعد من أهم مراكز تدريب جيش التحرير الوطني.

* مركز وادي ميلز: الذي يقع شرق غارديماو، وهو خاص بتخزين الأسلحة¹.

كما وجدت عدة مراكز أخرى بنواحي تالة وتاجروين . وللإشارة فقد اتخذت هذه المراكز كقاعدة من طرف وحدات جيش التحرير الوطني لتنفيذ هجوماتها على مراكز العدو، كما شكلت في نفس الوقت مكاتب لقيادة جيش التحرير أو مستشفيات عسكرية².

وقد أشار التقرير العسكري الفرنسي المؤرخ في 07 فيفري 1957 إلى تمركز الثوار الجزائريين في شكل مجموعات وفي نقاط محددة على طول الحدود التونسية الجزائرية، فذكر عدة مراكز مثل مركز الأربعاء، مركز الكاف، تالة، قفصة... إلخ . كما أشار أيضا إلى تواجد مجموعة كبيرة من الثوار الجزائريين في قطاع قفصة بقيادة طالب العربي، حيث قدر عددها ما بين 700 و1000 مجاهد، ويضيف التقرير أن هؤلاء الثوار كانوا يتولون مهمة تهريب الأسلحة نحو الجزائر³.

أما فيما يخص تعداد جيش التحرير الوطني المتواجد في المراكز المذكورة فقد قدر حتى سنة 1957 بحوالي 2400 مجاهد، ثم ارتفع سنة 1960 ليصل إلى 15000 مجاهد، وفي سنة 1962 بلغ تعداد

¹ - Mohammed guentari, op, cit, p 722

² - Mohammed teguia, l'algerie en guerre, office des publications universitaires, alger, 1988, p 324.

³ - Commandement supérieur des troupes de Tunisie, synthèse mensuelle de mois de janvier 1957, 07 février 1957, op, cit, p.p 05 - 06.